[هـ] قال (=الغزالي): وإذا كان هذا هكذا، فكما يستقيم لهم قولهم إن الأوقات في حدوث العالم متماثلة، كذلك يستقيم لخصومهم أن جميع أجزاء الفلك، في كونها أقطابا متساوية، لا يظهر أن ذلك يختص منها بوضع دون وضع ولا بموضع ثبوت دون موضع.

[١٩ – العالم مؤلف من خمسة أجسام ...]

[و] فهذا هو تلخيص هذا العناد وهو خطبي. وذلك أن كثيرا من الأمور التي ترى بالبرهان أنها ضرورية، هي في بادئ الرأي ممكنة. والجواب عند(أ) الفلاسفة أنهم يزعمون أن البرهان قام عندهم على أن العالم مؤلف من خمسة أجسام:(٤٣) جسم لا ثقيل ولا خفيف وهو الجسم السماوي الكري المتحرك دورا (=الأثير)، وأربعة أجسام، اثنان منها(ب): أحدهما ثقيل بإطلاق وهي الأرض التي هي مركز كرة الجسم المستدير (=جسم العالم)؛ والآخر خفيف بإطلاق وهي النار التي هي في مُقَعَّر الفلك المستدير. وأن الذي يلي الأرض هو الماء، وهو ثقيل بالإضافة إلى الهواء، خفيف بالإضافة إلى الأرض. ثم يلي الماءَ الهواءُ وهو خفيف بالإضافة إلى الماء وثقيل بالإضافة إلى النار. وأن سبب استيجاب(ج) الأرض للثقل المطلق هو كونها في غاية البعد من الحركة الدائرة، ولذلك كانت هي المركز

---

(٤٣) تصور أرسطو العالم، كالقدماء عموما، على أنه كروي الشكل، وينقسم إلى قسمين: ما فوق فلك القمر وهو السماء، وما تحته وهو الأرض. والسماء نجوم و كواكب مادتها الأثير، وهو يختلف عن مادة الأجسام الأرضية من حيث إنه لا يتغير، ويتحرك حركة دائرية دائما. والنجوم والكواكب أجسام في أفلاك تدور بسرعة دورات أبدية، فتسخن وتضيء، ومن هنا كانت طبيعة السماء عندهم نارا، وكانت النار التي في الأرض تتحرك إلى أعلى لخفتها وكأنها تطلب مكانها الطبيعي الذي هو السماء. ويحيط بالأفلاك، وبالتالي بالعالم كله، **فلك محيط** هو بمثابة غلاف للعالم، وهو المحرك لجميع الأفلاك بحركته الدائرية السرمدية. ويحركه المحرك الأول الذي لا يتحرك، وهو الإله بالنسبة لأرسطو. وهم يشبهون العالم ببصلة تدور حول محور ذي قطبين شمالي وجنوبي. أما قشرتها العليا فهي الفلك المحيط، وليس وراءه شيء فهو كالغلاف للعالم. والقشور الأخرى هي الأفلاك التي عليها النجوم والكواكب وآخرها فلك القمر. أما "قلب" البصلة فهو الأرض، وهي في مركز الكون. وقد نزلت إلى المركز بسبب ثقل المادة التي منها تكونت وهي التراب.

(أ) ب: عن (ب) ت: أضيف "كانهما الطرفان" (ج) ب: استحباب.

الثابت. وأن السبب في الخفة للنار بإطلاق هو أنـها في غايـة القـرب مـن الحركـة المستديرة، وأن الذي بينهمـا من الأجسام إنمـا وجد فيـه الأمـران جميعـا، أعـني الثقل والخفة، لكونهما في الوسط بين الطرفيـن، أعـني الموضـع الأبعـد والأقـرب. وأنه لولا الجسم المستدير لم يكن هنالك لا ثقيل ولا خفيـف بـالطبع، ولا فـوق ولا أسفل بالطبع، لا بإطلاق ولا بإضافة، ولا[أ] كانت مختلفـة بـالطبع حتـى تكـون الأرض مثلا من شأنها أن تتحرك إلى موضع مخصوص، والنار من شأنها أيضـا أن تتحرك إلى موضع آخر، وكذلك ما بينهما من الأجسـام، وأن العـالم إنمـا يتنـاهى من جهة الجسم الكري.

[ز] وذلك أن[ب] الجسم الكري متناه بذاتـه وطبعـه، إذ كـان يحيـط بـه سطح واحد مستدير. وأما الأجسام المستقيمة فليست متناهية بذاتها، إذ كان يمكن فيها الزيادة والنقصان. وإنما هي متناهيـة لأنـها في وسط الجسم (= المستدير = العالم) الذي[ج] لا يمكن فيه زيادة ولا نقصـان. ولذلك كـان متناهيـا بذاتـه. وأنـه لمكان هذا لم يصح أن يكون الجرم المحيط بالعالم إلا كريـا، وإلا لكانت الأجسـام يجـب أن تتنـاهى: إمـا إلى أجسـام أخـر ويمـر ذلـك إلى غـير نهايـة، وإمـا أن تنتهي[د] إلى الخلاء؛ وقد تبين امتناع الأمرين.

[ح] فمن تصور[هـ] هذا عـلم أن كل عـالم يفـرض، لا يمكـن أن يكـون إلا من هذه الأجسام. وأن الأجسام لا تخلو أن تكون إما مستديرة، فتكون لا ثقيلـة ولا خفيفـة، وإما مستقيمة فتكـون إما ثقيلة وإما خفيفة أعني إما نارا وإما أرضا وإمـا ما بينهما. وأن هذه (الأجسام) لا تكون إلا مستديرة أو فـي محيط مستدير (فلـك)، لأن كل جسم إما أن يكون متحركا من الوسط أو إلى الوسط، وإما حول[و] الوسط.

[ط] وأن بحركات الأجرام السماوية، يمينا وشمالا، امـتزجت الأجسـام (= العناصر الأربعة)، وكان منـها جميـع الكائنـات المتضـادة. وأن هـذه الأجسـام الأربعة[ز] لا تزال، من أجل هذه الحركات، في كون دائـم وفسـاد دائـم، أعـني في أجزائها. وأنه لو تعطلت حركة من هذه الحركات لفسد هذا النظام والترتيب، إذ

(أ) ب: ولما (ب) ب: "فان العالم...الكري لان" عـوض "وان العـالم...الكـري وذلـك ان" (ج) ب: سـقطت العبـارة "يمكن فيها الزيادة...وسط الجسم الذي" (د) ب: "لا يمكن فيها...كانت غير متناهية بذاتها...وانه لماكـان..اجسـام اخر او غير ذلك...ينتهي" عوض "لايمكن فيه...ان تنتهي" (هـ) ي: هكذا شكلت "فمن تصور" (و) ب: حوالى (ز) ي، ت: أضيف "المتضادة".

كان ظاهرا أن هذا النظام يجب أن يكون تابعا للعدد[أ] الموجود من هذه الحركات (= عدد دورات الأفلاك) وأنه لو كانت(= تلك الدورات) أقل أو أكثر لاختل هذا النظام أو كان نظاما آخر. وأن عدد هذه الحركات [هو] إما على طريق الضرورة في وجود ما هاهنا وإما على طريق الأفضل.(٤٤)

[ي] وهذا كله فلا تطمع هاهنا في تبينه ببرهان، وإن كنت من أهل البرهان فانظره في مواضعه(٤٥) واسمع هاهنا أقاويل هي أقنع من أقاويل هؤلاء، فإنها وإن لم تفدك اليقين، فإنها تفيدك غلبة ظن يحركك إلى وقوع اليقين بالنظر في العلوم.

[٢٠ – والسماء عندهم "حيوان"..!]

[ك] وذلك أن تتوهم أن كل كرة من الأكر السماوية فهي حية من قبل أنها ذوات أجسام محدودة المقدار والشكل، وأنها متحركة بذاتها من جهات محدودة، لا من أي جهة اتفقت. وكل ما هذا صفته فهو حي ضرورة؛ أعني أنه إذا رأينا جسما محدود الكيفية والكمية، يتحرك في المكان من قبل ذاته من جهة محدودة منه، لا من قبل شيء خارج عنه، ولا من أي جهة اتفقت من جهاته، وأنه يتحرك معا إلى وجهتين متقابلتين، قطعنا أنه حيوان.

[ل] وإنما قلنا: لا من قبل شيء خارج، لأن الحديد يتحرك إلى حجر المغنطيس إذا حضره حجر المغنطيس من خارج، وأيضا فهو يتحرك إليه من أي جهة اتفقت. وإذا صح هذا فالأجسام السماوية فيها مواضع هي أقطاب بالطبع، لا يصح أن تكون الأقطاب منها في غير ذلك الموضع. كما أن الحيوانات التي هاهنا لها أعضاء مخصوصة، في مواضع مخصوصة من أجسامها، لأفعال مخصوصة، ليس

---

(٤٤) بمعنى أن عدد دورات الأفلاك، كدورة الشمس حول الأرض مرة واحدة كل ٢٤ ساعة، ضروري لوجود الكائنات الأرضية، أو هو الأنسب لها. فلو كانت الشمس مثلا تدور حول الأرض مرة كل سنة مثلا، لكانت مدة سنة شهرا ومدة النهار سنة، وهذا لا يناسب النبات ولا الحيوان الخ.

(٤٥) يحيل إلى كتاب "السماء والعالم" لأرسطو وقد لخصه ابن رشد ثم شرحه شرحا على اللفظ.

(أ) ب: للمادة.

يصح أن تكون في مواضع أخر منها: مثل أعضاء الحركة، فإنها في مواضع محدودة من الحيوانات. والأقطاب هي من الحيوان الكري الشكل[٤٦](السماء) بمنزلة هذه الأعضاء؛ أعني أنها أعضاء الحركات (=لأن القطبين هما قطبا المحور الذي حوله تدور الأفلاك). ولا[أ] فرق بين الحيوان الكري الشكل في ذلك والغير كري، إلا أن هذه الأعضاء تختلف في الحيوان الغير كري بالشكل والقوة، وهي في الحيوان الكري تختلف بالقوة فقط. ولذلك ظُنَّ بها، في بادئ الرأي، أنها لا تختلف، وأنه يمكن أن يكون القطبان في فلك أيِّ [ب]نقطتين اتفقت. فكما[ج] أنه لو قال قائل: إن هذه الحركة في هذا النوع من الحيوان، أعني الذي هاهنا (= في الأرض)، يجوز أن تكون فيه في أي موضع اتفق منه، وأن تكون منه في الموضع الذي هي فيه في نوع[د] آخر من الحيوان، لكان أهلا أن يضحك به. لأنها إنما جعلت في كل حيوان في الموضع الأوفق لطباع ذلك الحيوان، أو في الموضع الذي لا يمكن غيره، في حركة ذلك الحيوان. كذلك الأمر في اختلاف الأجرام السماوية في مواضع الأقطاب منها، وذلك أنه[هـ] ليست الأجرام السماوية واحدة بالنوع كثيرة بالعدد، بل هي كثيرة بالنوع كأشخاص الحيوانات المختلفة، وإن كان ليس يوجد إلا شخص واحد من النوع فقط[٤٧].

---

(٤٦) ليفهم القارئ هذا الذي قاله ابن رشد عن تصور فلاسفة اليونان للسماء على أنها "حيوان" يجب، أولا، أن يستحضر في ذهنه معنى "الحيوان" ANIMAL في اللغات الأوروبية. فالكلمة فيها معنى الحركة ANIMER والكائن الحي هو حي لأنه يتحرك بذاته، ومبدأ حركته أي ما يحركه هو النفس. (= قارن لفظ التنفس). وكل ما يتحرك حركة ذاتية فله نفس: النبات ينمو،يتحرك في الكم، فله نفس نباتية. والحيوان يزيد على النبات بكونه يحس ويتحرك إلى جهات مختلفة في المكان الخ، فله نفس حيوانية. والإنسان يزيد على الحيوان بحركة أخرى هي التفكير وهو التصرف في المعاني فله نفس عاقلة. والنجوم تتحرك حركة مكانية ، تدور، فلها نفوس. وبما أن حركتها منتظمة فلها عقول، لأن مبدأ النظام عقل، كما أن مبدأ الحركة نفس. وبما أن السماء ككل تتحرك بحركة الفلك المحيط الذي هو جزء منها فهي حيوان. وهناك من سمى مبدأ حركتها بـ "النفس الكلية" ومبدأ انتظام حركتها: "العقل الكلي". فيكون الفلك المحيط يتحرك بنفس كلية وعقل كلي، وهو العقل الأول الفائض عن الله حسب القائلين بالفيض مثل الفارابى وابن سينا. وابن رشد لا يقول بنظرية الفيض هذه بل يعتبرها من قبيل الأساطير، ويتبنى النظرة الأرسطية التي تنبني على الحركة، واستقراء أنواعها في الأرض كما في السماء.

(٤٧) الحصان نوع واحد ولكن أفراده عديدون،أما الأجسام السماوية فهي كثيرة بالنوع فقط لا بالعدد، فليس هناك إلا شمس واحدة وقمر واحد ومريخ واحد الخ. وهي تختلف بالنوع لا بالعدد.

(أ) ب: "لا" عوض "ولا" (ب) ب: الفلك اية (ج) ب: "وذلك" عوض "فكما" (د) ب: موضع (هـ) ي: ان؛ ب: انها.